

# صُورَةٌ أُخْرَى فِي الْقُرْآنِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ

للأستاذ محمد عزة دروزة

في مقالات سابقة لنا نشرتها المجلة شرحنا احوال بني اسرائيل واليهود المعاصرين للنبي صلى الله عليه وسلم المقيمين في الحجاز وأخلاقهم ومواقفهم من النبي والدعوة الاسلامية . ومواقف النبي والمسلمين منهم التي انتهت بالتكليف بهم وتطهير الأرض المقدسة من رجسهم استلهاماً من الآيات القرآنية التي أتمت الروايات المتواترة صورتها .

١ - في سورة البقرة هذه الآيات:  
( يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوفى بعهدكم وإياي فارهبون . وآمنوا بما أنزلت مصدقاً لما معكم ولا تكونوا أول كافر به ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً وإياي فاتقون . ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون . واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين . الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم وأنهم إليه راجعون . يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأتي فصلتكم على العالمين . واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً . ولا تقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون . واذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبجون أبناءكم

وفي القرآن الكريم صور أخرى لبني اسرائيل واليهود السابقين لعصر النبي صلى الله عليه وسلم يحسن أن ينه إليها لأنها متصلة باحوالهم وأخلاقهم الغابرة التي ظل القرآن يربط بينها وبين بني اسرائيل واليهود في عصر النبي وبيئته والتي كان من نتائج تلك المواقف . حيث يظهر بين ذلك ما كان من جلبة أخلاقية واجتماعية وفكرية راسخة متصلة لهذا القبيل من الجماعات البشرية . وحكمة الله تعالى في تسجيل لعنته وضربه الذلة والمسكنة وصبه غضبه الدائم عليهم وإيلائه على نفسه أن يبعث عليهم الى يوم القيامة من يسومهم العذاب . وان يطفى نار الحرب كلما أوقدوها ويحبط فسادهم في الأرض .

ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من  
ربكم عظيم . وإذ فرقنا بكم البحر  
فانجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم  
تنظرون ٤٠ - ٥٠ )

ولآيات وإن كانت تخاطب بني  
إسرائيل المعاصرين للنبي صلى الله  
عليه وسلم فإن فيها تذكيراً بما كان  
من نعم الله على أجدادهم وتفضيله  
إياهم وتنجيته لهم من آل فرعون .  
وهذا التفضيل الذي ورد لبني  
إسرائيل في الآيات تكرر في آيات  
أخرى . ولكنه على ما أجمع عليه  
المفسرون وتفسره نصوص آيات عديدة  
أخرى موقوف ثم منسوخ مما كان من  
عصيانهم وتمردهم وعدوانهم  
وانحرافاتهم الخلقية والدينية منذ  
عهد موسى عليه السلام الى عهد  
النبي صلى الله عليه وسلم .

وقد استحقوا نتيجة لذلك فضلا  
عن نسخ هذه الافضية السابقة  
للعنة الله وغضبه وسربلته اياهم  
بالذلة والمسكنة على ما جاء في آيات  
عديدة منها ما اورده في مقالنا  
السابقة ومنها ما سوف نورده بعد .

٢ - في سورة البقرة هذه الآية  
( واذا واعدنا موسى اربعين ليلة ثم  
اتخذتم العجل من بعده وأنتم  
ظالمون ٥١ ) وفيها خير مسارعة  
بني اسرائيل الى الانحراف عن  
التوحيد وعبادة العجل بعد فترة  
قصيرة من خروجهم من مصر واثناء  
ما كان موسى يناجي ربه في الطور .

٣ - وفي سورة البقرة هذه الآية

( وإذ قلتم يا موسى لن تؤمن لك حتى  
نرى الله جهرة فاخذنكم الصاعقة  
وأنتم تنظرون ٥٥ ) وفيها صورة من  
سوء أدبهم وتعجزهم وما كان من تكال  
الله تعالى فيهم بسبب ذلك . وكان  
هذا أيضاً في ظروف مناجاة الله تعالى  
لموسى عليه السلام .

٤ - وفي سورة البقرة هذه الآيات  
( وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا  
منها حيث شئتم رغداً وادخلوا الباب  
سجداً وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم  
وسنزيد المحسنين . فبدل الذين  
ظلموا منهم قولاً غير الذي قيل لهم  
فأنزلنا على الذين ظلموا رجزاً من  
السماء بما كانوا يفسقون ٥٨ و٥٩ )  
وفي الآيات صورة لانحرافاتهم  
ومخالفتهم لاوامر الله تعالى وحجودهم  
لفضله . حيث امروا أن يعلنوا  
خضوعهم وشكرهم فآظفروا قسوة  
قلب وتمرد وكفران فكان ذلك سبباً  
لتكال الله فيهم .

٥ - وفي سورة البقرة هذه الآية  
( وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على  
طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا  
مما تنبت الارض من بقلها وقثائها  
وفومها وعدسها وبصلها قال  
استبدلون الذي هو ادنى بالذي هو  
خير اهبطوا مصرأ فان لكم ما سألتهم  
وضربت عليهم الذلة والمسكنة وبأؤوا  
بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون  
بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق  
ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ٦١ )  
وفي الآية صورة لتذمرهم

وشهواتهم مهما كان فيها استبدال  
الادنى بما هو خير . حيث كان الله قد  
منّ عليهم فيسر لهم طيور السلوى  
ليأكلوا لحومها ورذاذ المنّ الذي كانوا  
يصنعون منه خبزا كالقثائف فسئموا  
من أكل هذه الأطياب واشتهوا أن يكون  
لهم بقول الأرض وحبوبها وخضرواتها  
فأجابهم الله الى ذلك . ولقد تجرأوا  
فيما بعد فأخذوا يكفرون بآيات الله  
ويقتلون انبياءه ويعتدون على شرائعه  
فاقتضت حكمة الله أن يضرب عليهم  
نتيجة لذلك الذلة والمسكنة ويصب  
عليهم غضبه .

٦ - وفي سورة البقرة هذه الآيات

( **وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم  
الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا  
ما فيه لعلمك تتقون . ثم توليتم من  
بعد ذلك فلولا فضل الله عليكم ورحمته  
لكنتم من الخاسرين . ولقد علمتم  
الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا  
لهم كونوا قردة خاسئين . فجعلناها  
نكالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة  
للمتقين ٦٣ - ٦٦ )**

وفي الآيات صورة لنقضهم ميثاق  
الله فقد أخذ الله عليهم الميثاق على أن  
يقوموا بما أمروا بكل قوة وإخلاص .  
فارتدوا عن ذلك وانحرفوا . ولقد  
كان مما شرعه لهم أن يحترموا يوم  
السبت فلا يعملوا فيه فاحتالوا  
على ذلك على ما أخبر به  
القرآن في آية أخرى في سورة  
الاعراف وهي هذه ( **واسألهم عن  
القرية التي كانت حاضرة البحر إذ  
يعدون في السبت إذ تأتيهم حيتانهم  
يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبثون**

**لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا  
يفسقون ١٦٣ )** وتفيد الآية أن الله  
أراد أن يمتحنهم في صدق إيمانهم  
وتمسكهم بشريعتهم في بلدة لهم  
على ساحل البحر . فصار السمك  
ينقطع عنهم في غير يوم السبت ويأتي  
الى ساحلهم يوم السبت . فحفروا في  
الساحل حفائر يوم الجمعة فجاء  
السمك يوم السبت فانجس في  
الحفائر فأخذوه يوم الاحد . فكان  
ذلك منهم احتيالا على شريعة السبت .  
ثبت به عدم تمسكهم بشريعة الله فقال  
لهم الله كونوا قردة خاسئين . ليكون  
ذلك نكالا للمعتدين على شريعته  
وعبرة وموعظة لغيرهم .

٧ - وفي سورة البقرة هذه الآيات

( **وإذ قال موسى لقومه إن الله يامركم  
أن تذبحوا بقرة قالوا آتخذنا هزوا  
قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين .  
قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي  
قال إنه يقول إنها بقرة لا فارض ولا بكر  
عوان بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون .  
قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها  
قال إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع  
لونها تسر الناظرين . قالوا ادع لنا  
ربك يبين لنا ما هي إن البقر تشابه  
علينا وإنما إن شاء الله لمهتدون . قال  
إنه يقول إنها بقرة لا ذلول تثر الأرض  
ولا تسقي الحرت مسلما لاشية فيها  
قالوا الآن جئت بالحق فذبحوها  
وما كادوا يفعلون . وإذ قتلتم نفساً  
فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم  
تكتنون . . فقلنا اضربوه ببعضها  
كذلك يحيى الله الموتى ويرىكم آياته  
لعلكم تعقلون . ثم قست**

قلوبهم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون (٦٧ - ٧٤) وفي الآيات صورة قوية من لجاجهم في صدد ما يتلقونه من الله ورسوله من أوامر ووصايا وتنفيذها باخلاص وتسليم . وما كان من مظاهر ذلك ما صاروا إليه من شدة قسوة القلوب .

٨ - وفي سورة البقرة هذه الآية ( أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون ٧٥ ) وفيها صورة قوية لما كان من تحريفهم لكلام الله عن قصد وتصميم بعد أن يكونوا قد سمعوه جيداً وفهموه جيداً .

٩ - وفيها هذه الآية ( ولقد آتينا موسى الكتاب وقفيناً من بعده بالرسول وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقاً كذبتهم وفريقاً تقتلون ٨٧ ) .

والآية من سلسلة في حق بني إسرائيل . وفيها صورة من مواقفهم تجاه أنبياء الله ورسله اليهم بعد موسى عليه السلام حيث كانوا يقفون منهم موقف المتمرد المستكبر فيكذبون بعضهم ويقتلون بعضهم .

١٠ - وفي سورة البقرة هذه الآيات ( ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون .

وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا قالوا سمعنا وعصينا وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم قل بئسما يأمركم به إيمانكم إن كنتم مؤمنين (٩٢ و٩٣) وفي الآيات صورة لما كان من تمردهم في زمن موسى وعلانهم عصيانهم حينما أمروا بالسمع والطاعة حيث قالوا سمعنا وعصينا وتشربوا عبادة العجل بعد أن جاءتهم بينات الله وتعاليمه .

١١ - وفي سورة البقرة هذه الآيات ( ألم تر إلى المأذ من بني إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله قال هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلون قالوا وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلا منهم والله عليم بالظالمين . وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم . وقال لهم نبيهم إن آية ملكه أن ياتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون تحمله الملائكة إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين . فلما فصل طالوت بالجنود قال إن الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فإنه مني إلا من اغترف غرفة بيده فشربوا منه إلا قليلا منهم فلما جاوزه

هو والذين آمنوا معه قالوا لا طاقة لنا  
اليوم بجالوت وجنوده قال الذين  
يظنون أنهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة  
غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع  
الصابرين ٢٤٦ - ٢٤٩ )

وفي الآيات اشارة الى موقف  
تاريخي لبني اسرائيل من بعد موسى .  
حيث تعرضوا للغارات والغزوات  
والنكبات والمطاردات فطلبوا من نبي  
لهم أن يقيم لهم ملك يقاثلون تحت  
رايته . غير أن أكثرهم مع ذلك وقف  
موقف اللجاج والعصيان والجبن .  
ولم يخلص إلا فئة قليلة منهم . وهو  
ما احتوت الآيات صورة قوية له .

١٢ - وفي سورة آل عمران هذه  
الآية ( فلما أحس عيسى منهم الكفر  
قال من انصاري الى الله قال  
الحواريون نحن انصار الله آمنا بالله  
واشهد باننا مسلمون . ربنا آمنا بما  
أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع  
الشاهدين . ومكروا ومكر الله  
والله خير الماكرين ٥٢ - ٥٤ )  
والآيات في صدر رسالة المسيح عليه  
السلام لبني اسرائيل على ما تفسيده  
الآيات السابقة لها . وفيها صورة  
لموقفهم الجاحد الماكر من رسول الله  
عيسى عليه السلام .

١٣ - وفي سورة النساء هذه  
الآيات ( يسألك أهل الكتاب أن تنزل  
عليهم كتابا من السماء فقد سألوا  
موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله  
جهرة فاخذتهم الصاعقة بظلمهم ثم  
اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم  
البيينات ففعلونا عن ذلك وآتينا موسى

سلطانا مبيناً . ورفعنا فوقهم الطور  
بميثاقهم وقلنا لهم ادخلوا الباب  
سجدا وقلنا لهم لا تعدوا في السبت  
وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً . فيما نقضهم  
ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم  
الأنبياء بغير حق وقولهم  
قلوبنا غلف بل طبع الله عليها  
بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلاً .  
وبكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً  
عظيماً . وقولهم إنا قتلنا المسيح  
عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه  
وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين  
اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به  
من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا .  
بل رفعه الله اليه . وكان الله عزيزاً  
حكيماً . وان من أهل الكتاب إلا  
ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة  
يكون عليهم شهيدا . فبظلم من  
الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات  
أحلنا لهم وبصدهم عن سبيل الله  
كثيراً . وأخذهم الربا وقد نهوا عنه  
وأكلهم اموال الناس بالباطل واعتدنا  
للكافرين منهم عذاباً أليماً ١٥٣ - ١٦١ )  
وفي الآيات صور من تعجزاتهم لموسى  
عليه السلام وطلباتهم التي فيها سوء  
أدب نحو الله . وانحرافهم عن  
التوحيد الى عبادة العجل ونقضهم  
للعهود التي كانوا يقطعونها على أنفسهم  
لله ورسوله . ورميهم مريم عليها  
السلام بالزنا وكفرهم بالمسيح  
وتبجحهم بقتله وصلبه وأخذهم  
الربا المحرم عليهم وأكلهم اموال  
الناس بالباطل . وما كان من تكاليف  
الله بهم على آثامهم وانذاره لهم  
بالعذاب الليم الأخرى .